EDITORIAL

الزبير باشا رحمة وافتراءات تجارة الرقيق

د. أحمد عبد الله محمد آدم*

الملخص

هدفت الدراسة لبيان شخصية الزبير باشا رحمة وعلاقته بتجارة الرقيق ، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي مع بعض المقابلات الشخصية لسد الثغرات في بعض المواضع ، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها : أن الزبير باشا قد تمكن بحنكته الإدارية ومؤهلاته العسكرية من إقامة مملكة مستقرة ببحر الغزال ، وأن وجوده بتلك المنطقة مثَّل بداية دخول الإسلام واللغة العربية وثقافتهما إليها ، خاصة وأنه قد أثبت أنّ التجارة الآمنة يمكن أن تلعب دور الوسيط في نقل المؤثرات الحضارية من منطقة لأخرى مع ملاحظة أن شخصيته قد تعرضت للاستهداف الواضح والتشويه المقصود من خلال وصمها بتجارة الرقيق وهو إتهام لا أساس له من الصحة كما ثبت في ثنايا هذه الدراسة ، توصي الدراسة بإجراء دراسة عن الأثر الديني لمملكة الزبير باشا ببحر الغزال ، وإفراد دراسة عن الجوانب الروحية والسلوك التصوفي في حياة الزبير باشا الذي يظهر من خلال علاقته برجال الطرق الصوفية .

المقدمة

يعتبر الزبير باشا رحمة من الشخصيات المهمة في التاريخ السياسي السوداني خاصة وأنه قد بذل جهوداً واضحة ومقدرة لإقامة مملكة مستقرة في إقليم بحر الغزال بجنوب السودان إضافة لدوره المتميز في التاريخ العسكري السوداني من خلال الجيش الذي كونه ومحاولاته التي بذلها لإزالة الفوارق الإجتماعية بين سكان شمال وجنوب السودان عبر المصاهرة التي كان يشجع جنوده وقادته عليها وهو الأمر الذي قاد في

* أستاذ مساعد التاريخ الحديث بكلية التربية – حنتوب - جامعة الجزيرة

EDITORIAL

النهاية لنشر الإسلام في تلك المنطقة ، ولقد تعرضت شخصية الزبير باشا رحمة للكثير من التشويه من قبل بعض المؤرخين الذين ربطوا ما بينه وبين تجارة الرقيق ببحر الغزال وهو الأمر الذي قاد لإبعاده واحتجازه خارج السودان لأكثر من عشرين عاماً ، ولهذا فالدراسة هي محاولة موضوعية للتحدث عن هذه الشخصية وسبر أغوارها من المنطلقات التي ذكرتها آنفاً .

وقد اعتمدت الدراسة على الكثير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي تناولت ذلك الموضوع في سبيل الوصول إلى الحقيقة التاريخية الموثقة علمياً ، كما اتبعت المنهج التاريخي وفقاً لأبعادها وطبيعة العناصر المكونة لها والمنهج الكتابي من خلال تقسيمها لمقدمة عامة وأربعة أجزاء مع خاتمة ضمت أهم النتائج والتوصيات ثم مسرد لثبت المصادر والمراجع .

أ - حياة الزبير باشا رحمة :-

أناقش في هذا الجزء حياة الزبير باشا رحمة من حيث نسبه ومولده مكاناً وزماناً ومن ثم طفولته ونوع التعليم الذي تلقاه في بواكير حياته وصفاته التي تميز بها .

1/نسبه ومولده :

أولاً- نسبه :

سلك العرب طرق متعددة وهم في طريقهم إلى السودان من الجزيرة العربية ولعل أشهرها معبر مصر والبحر الأحمر ، فمن مصر انحدرت القبائل العربية جنوباً مع النيل إلى السودان ومن البحر الأحمر مباشرة إلى سواحل السودان الشرقية ثم توغلوا إلى داخل السودان.[1] ومن هذه القبائل العربية التي دخلت السودان عبر مصر قبيلة الجميعاب* والتي انحدر منها الزبير باشا رحمة فمن هو الزبير باشا ؟

هو (الزبير بن رحمة بن منصور بن علي بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العباسي . . .) [2] .

وفي رواية أخرى هو (... الزبير بن رحمة بن منصور بن علي بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن عوض بن شاهين بن جميع بن منصور بن جموع بن الملك غانم بن حميدان بن صبح بن

---

[1] محمود ، الدكتور حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربية الأفريقية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1986 م ، ص 275-288 .

* هذا وقد أخذت القبيلة اسمها من جميع بن جموع وتسمت به .

[2] مذكرات الزبير باشا : دار الوثائق المركزية ، الخرطوم ، تحت الرقم 929/ 47 / 1 ، ص1

- شقير، نعوم : تاريخ السودان ، تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم ، بيروت ، دار الجيل، 1981 م ، ص 258 .
- سعد الدين الزبير: الزبير باشا رجل السودان ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، بدون دار النشر ،1951م، ص9 .
- الجمل ، الدكتور شوقي : تاريخ سودان وادي النيل ، الجزء الثاني ، الانجلو المصرية ، 1969 م ، ص 267

EDITORIAL

مسمار بن سرار بن محمد حسن كردم بن إدريس المكنى بأبي الديس ابن قضاعة بن حرقان بن مسروق بن أحمد اليماني بن إبراهيم الجعل بن ادريس بن قيس بن عبد الخزرجي بن عدنان بن قصـــاص بن كرب بن هاطل بن ياطل بن ذي القلاع الحميري بن ســعد الأنصـــاري بن الفضـــل بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن معد بن عدنان ...) .[3]

ويذكر الزبير باشا أن جده السادس والعشرين المسمى إبراهيم قد نزل من مكة إلى بغداد ومنها إلى القاهرة منذ ألف سنة مضت من تاريخ حياته والذي كان رأس قبيلة وكان ذا قوة وبأس ولكن أهل القاهرة لم يرحبوا به ولم يسمحوا له بالنزول بينهم فرحل جنوباً حتى وصل منطقة الجميعاب * التي لم يكن يمتلكها احد فاستقر بها.[4] لذا فانّ الزبير باشا ينحدر من نسل جموع بن غانم العباسي والذي كان من كبار التجار في مدينة بغداد وعندما اجتاح المغول عاصمة الخلافة العباسية في عام 656 هـــ الموافق 1258 م ودمروها وأزهقوا أرواح العباد بها هاجر جموع منها بعد ان افتدى نفســه بماله واتجه إلى بلاد الشــام ثم إلى مصــر وفيها حاول جموع استعادة ماضيه التجاري ولكنه توفي مخلفا ابنه جميع مسئولاً عن تجارته والذي استطاع أنِ يكسـب هو وأسـرته ولاء وثقة الأهالي ولكن الفاطميين ضـايقوهم فلم يطيقوا الإقامة معهم فانحدروا مع النيل جنوباً إلى السـودان وبين جبل قري وجبل الشـيخ الطيب اسـتقرت الأسـرة وهاجر جزءً منهم صـوب كردفان ودارفور بحثاً عن المرعى والكلأ وعرفوا بالجموعية نســبة لجدهم جموع بن غانم لذا فهم أبناء عمومة[5] ، فالزبير ينحدر من هذه القبيلة العظيمة النسب الرفيعة الحسب والتي اشتهرت بين قبائل السودان بالبسالة والشجاعة والكرم وحماية الديار[6].

---

[3] الخبير ، عبد الله محمد : السور الحصين المنيع البأس في اتصال نسب اجعل بأصله العباس، تقديم عبد الله علي إبراهيم ، الدار العالمية للطباعة ،1982 م ، ص 65 .

* الجميعاب : شمال الخرطوم شرق وغرب النيل – وتبعد عن الخرطوم حوالي48 كلم تقريبا.

[4] فلوراشو ، Florasvhow : الزبير باشا يروي سيرته ، سلسلة مقالات بمجلة مراجعات معاصرة ، عام1887 م ، ترجمة خليفة عباس الطاهر ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، 1995 م ،ص 17 .

[5] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص1 .

- سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص10 .=

= – برير ، محجوب برير محمد نور : قبس من الفكر والتاريخ ، دار الإعلام ، الطبعة الأولى ، بدون البلد ، 1988م ،ص18.

[6] مذكرات الزبير : مصدر سبق ذكره ، ص1 .

– شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص 258 .

EDITORIAL

ثانياً/ مولده :

من صـــلب تلك القبيلة ولد الزبير والذي كان مولده في جزيرة واوســـي* في يوم 17/محرم/1246 هـ الموافق 8/ يوليو /1831 [7] ووالدته تسمى الشماء وتذكر الروايات أنها كانت امرأة صالحة حتى أن سقف منزلها لم ير مفرق رأسها أي أنها كانت لا تكشف رأسها أبداً حتى داخل منزلها لتقواها وورعها ، هذا وقد تنبأ الشيخ الطيب ود البشير لوالده بأن سينجب ولداً وأنه سيصبح ملكاً فيما بعد وعند مولده أراد والده أن يسميه فتاح ولكن رجلاً صالحاً حلّ بديارهم ودلهم على أن يسموه الزبير وأخبرهم بأنه سيصير ملكاً في مقبل الأيام وبذلك كرر لهم نبوءة الشيخ الطيب [8].

2/ حياته وصفاته :

أولاً- تعليمه :

كانت قبيلة الجميعاب قد اشتهرت مع شجاعتها وكرمها بترحيبها بالحكم التركي المصري للسودان وفي عام 1821 م استقبل أعيان هذه القبيلة وشيوخها إسماعيل باشا* وهو في طريقه لغزو السودان وعاهدوه على الولاء والطاعة ومن جملة من عاهدوه الشيخ رحمة والد الزبير باشا وعمه الفيل [9]

وبعد مولد الزبير باشا في واوسي انتقلت الأسرة لمنطقة الجميعاب وكان جده منصور أحد كبار تجار الخرطوم إبان الحكم التركي المصري وقد نال تعليمه في الأزهر الشريف بعد أن حفظ القرآن الكريم

---

* واوسي : تقع على نهر النيل الأزرق وكانت تتبع آنذاك لمديرية الخرطوم شمال غرب الجيلي وتبعد عن الخرطوم حوالي45 كلم .

[7] مذكرات الزبير باشا : المصدر السابق ، ص 1.

[8] رواية سماعية في مقابلة أجريت مع سليمان خالد عبد المحمود حفيد الزبير باشا يقيم بالفتيحاب وعمره 65 سنة ، جرت بمنزله في يوم 11/16/ 1999 م ، الساعة السابعة مساء.

- رواية سماعية في رواية أجريت مع سارية الياس الزبير، حفيدة ، مقدم بالمعاش في قوات الشعب المسلحة ، 49 سنة، مقيم بالجيلي، جرت بمنزله في 1999/11/15 م ، الساعة العاشرة صباحا.
- رواية سماعية في مقابلة مع ميرغني أحمد السيف ، حفيده ووالدته رابحة الزبير مقيم بالجيلي عمره 65 سنة ، مراقب جوي بمطار الخرطوم بالمعاش، جرت بمنزله في 1999/11/15م الساعة السابعة مساء .

* إسماعيل باشا : بن محمد علي باشا وقائد حملته لغزو السودان عام 1821 م ولقد توفى حرقاً على يد المك نمر عام1822 م في مدينة شندي .

[9] سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 9.

– شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص 258

EDITORIAL

بالســـودان وبذلك جمع بين التجارة وتدريس القرآن وعلوم الدين والعربية وقد بنى لهذا الغرض مســـجداً بالجيلي[10].

بعد أن اجتاز الزبير سن الطفولة أرسله والده لحفظ القران في خلوة ود أبو سكيكين بواوسي ثم انتقل لإكمال حفظه على يد الشيخ أبو قرين بمنطقة المسحورة قرب مدينة الدويم حيث خلاوي الغبش الشهيرة بالنيل الأبيض* وهنالك رواية تؤكد انه حفظ القران في خلوة الشيخ أبو كريز [11]

ويقول الزبير . . قد ولدت في السابع عشر من محرم 1246هـ ونشأت في حجر والدي إلى أن بلغت من العمر ســـبع ســـنوات فأدخلني المكتب وتعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن على رواية أبي عمر البصري وتفقهت على مذهب الإمام مالك بن انس رضي الله عنهما . .) [12]

وفي رواية أخرى .. وبلغت السابعة فأرسلني والدي إلى مدرسة الخرطوم لأتعلم القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم ، فكان هذا بداية طور جديد من أطوار حياتي وإيذاناً علي أن أودع حياة الكر والفر مع رفاقي الصغار في ربوع جزيرتنا الخضراء.) [13]

. . وفي المدرســـة تعلمت الكثير وأتممت حفظ القران الكريم وتفقهت على مذهب الإمام مالك وقضيت من سنين عمري فترة حافلة مضت على طولها قصيرة سريعة انتقلت فيها من أحلام الطفولة إلى صحو الشباب ، ومن مقاعد الدراسة إلى ركوب الخيل أمارس هواية ركوبها تلك الهواية التي تأصلت في دمي منذ ذلك الحين لتساهم بعد ذلك في رسم خطوط حياتي المقبلة وأتدرب على ألعاب الفروسية كعادة شباب قبيلتنا العربية .) [14]

---

[10] برير ، محجوب : مرجع سبق ذكره ، ص 17

* وردت بأنها قرب الدويم ولكن الصحيح أنها بالقرب من جبل أولياء حيث كانت مركزا للغبش بالنيل الأبيض

[11] إبراهيم الزبير: شريط كاسيت بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، برقم 265.

[12] مذكرات الزبير : مصدر سبق ذكره ، ص 1.

[13] سعد الدين : المصدر السابق ، 13 .

[14] سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص13 .

EDITORIAL

هذا وقد سلك الزبير مسلك جده ووالده بعد ذلك في تدريس القران فعمل على تطوير المسجد وحلقته لتصـــبح معهداً دينياً في قرية الجيلي* ســـماه (معهد علوم الفقه) وفيه تخرج الكثير من أهل العلم والتقى والصلاح من منطقة الخرطوم وقد كان الزبير باشا متمسكاً بدينه له راتب يومي طيلة حياته [15] .

ثانياً- حياته :

اتجه الزبير باشـا في بدايات شـبابه لممارسـة هواية ركوب الخيل كما ذكرنا والتدرب على ألعاب الفروسية والقوة وكانت من هواياته المحببة هواية الصيد وكان يقضي الأيام الطويلة في رحلات صيده وقد اشتهر مع ذلك بالشجاعة والكرم والسخاء[16].

بعد ذلك اتجه للعمل بالتجارة لكسب عيشه فزاد من نشاط والده التجاري ووسع من مجالها وعمل على إقامة مصانع حرفية صغيرة متعددة يديرها بنفسه ويتاجر بإنتاجها حتى أصبح بمرور الزمن من تجار المنطقة المشهورين[17] . وعندما وصل سن الخامسة والعشرين من عمره تزوج زواجه الأول من بنت عمه محمد منصور عائشة وهي والدة ابنه سليمان ثم تزوج بعدها السيدة زينب بنت منصور بالجيلي وهي التي صحبته في منفاه بجبل طارق وأولاده منها الحارث ورقية وليلى وفاطمة ثم تزوج بعد ذلك بعدد ليس يسير من النسوة وبعدد من السرارى وأنجب منهن عدداً مقدراً من الأبناء منهم أكثر من 26 ولدا وكثير من البنات وذلك في الشمال والجنوب وفي مصر [18].

ثالثاً- صفاته :

---

* الجيلي : تقع على بعد 45 كلم تقريبا الى الشمال من الخرطوم.

[15] برير، محجوب: مرجع سبق ذكره ، ص19

- سعد الدين : المصدر السابق، ص 13 .
- سليمان خالد عبد المحمود : رواية سماعية سبق ذكرها .

[16] الجمل : الدكتور شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص 268 . .

[17] شلبي ، الدكتور أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، الطبعة الرابعة ،1983 م ، ص328

- الأيوبي ، الياس : مرجع سبق ذكره ، ص 43 .
- الجمل : الدكتور شوقي ، مرجع سبق ذكره ، ص 268 .
- برير، محجوب: مرجع سبق ذكره ، ص 19

[18] رواية سماعية في مقابلة أجريت مع الخليفة عباس الطاهر من أقرباء الزبير باشا عمره حوالي85 سنة ، المؤهل جامعي ، دبلوماسي متقاعد ، كان سفير للسودان بعدة دول ، مقيم بالجيلي أجريت بمنزله بالجيلي في 1999/11/15م .

EDITORIAL

هذا وقد كان الزبير باشا طويل القامة، قوي البنية ، أسمر اللون ، عربي الملامح ، حسن الطلعة ، خفيف الشاربين واللحية ، ممشوق القد ، حديد النظر عيناه تشعان ببريق خاطف وكان له صوت خافت فيه غنة تأسر الألباب وتأخذ بمجامع القلوب ، وله ذكاء نادر وقلب راجح ، وقد كان قريب الخير بعيد الشر ، محباً لأهل العلم والتقوى والصلاح وغيور على الإسلام والمسلمين ومسالماً لغير المسلمين . وقد تجمعت فيه كل شمائل العبقري التجاري والألمعي السياسي والمحنك الحربي ومع شجاعته وقوته لكنه كان عطوفاً تنطق بذلك ملامحه وقد جمع مع ذلك كله حبه الشديد للمغامرة [19]. وذكر شفاينفورث* (. . لقد خلق ليحكم الناس ولو كان في أوربا لكان له شأن غير هذا الشأن ولترك في تاريخها أثراً بعيداً . .)[20]

وقيل عنه (. . ولسوف يعني التاريخ فيما بعد بأن يضع الزبير باشا في مكانه الحقيقي ويومئذٍ لن يغفل الإشادة بهذا الرجل الذي ملك قيادة نفسه فلم يغير من طباعه مجئ الثروة أو زوالها ، وهو وإن كانت الأحداث اليوم قد تركت على وجهه الأخاديد والتعرجات فأنت لا تستطيع إذا ما لقيته أن تخطي ذلك البريق الثاقب الذي تشع به عيناه ولا نظرة العطف والبر والمحبة التي تنطق بها ملامحه كلها فتكاد تنسيك بما توحيه لك من سلام وامن أنك أمام رجل كالفولاذ قد قاد جيوشاً مظفرة وإدراك جميع الغايات التي سعى إليها . .) [21]

ب:- انتقال الزبير باشا من التجارة إلى الملك :-

يغطي هذا الجانب هجرة الزبير رحمة لمنطقة بحر الغزال وعمله بالتجارة فيها وسطوع نجمه هنالك والأحداث والظروف التي قادته ليصبح أكبر تجار تلك المنطقة وهي تلك التجارة التي قادته في مقبل الأيام ليصبح ملكاً متوجاً على ذلك الإقليم من السودان ثم دراسة لعلاقته بالقبائل والزعماء الجنوبيين .

1/ رحلته إلى بحر الغزال :

---

[19] شقير : نعوم : المصدر السابق ، ص 288

- شلبي ، الدكتور أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص 329.
- يحيى ، الدكتور جلال : الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان ،دار النهضة ، القاهرة ، 1959م ، ص 60 .

* شفاينفورث : ألماني الجنسية ولد في ريجا عام 1836 م تعلم في برلين حتى نال الدكتوراة في الفلسفة ثم اتجه لدراسة علم النبات وكرس له حياته ، توغل في جنوب السودان وقابل الزبير فيه وكتب عن جغرافية النيل وتاريخ جنوب السودان .

–انظر ، مورهيد ، الآن : النيل الأبيض ، ترجمة محمد بدر الدين ، دار المعارف ،القاهرة ، 1956 م ، ص 177 .

[20] Schwinfurt,George: In the heart of Africa, London 1874 , p :216-217

[21] Jackson, H.G. black lvory, Khartoum, 1931 , p.62.

EDITORIAL

وفد لهذه المنطقة الجلابة* من التجار الشماليين فشرعوا وابتدأوا ممارسة التجارة مع سكان المنطقة وكانوا في سبيل تجارتهم كثيراً ما يتحالفون مع القبائل لمزاولة نشاطهم التجاري وربما لجأوا لمصاهرة الملوك والزعماء في المنطقة لتوطيد نفوذهم ونيل الحماية منهم ، وكانت القبائل التي تقطن ذلك الإقليم لا تدين بالإسلام ولا تتحدث اللغة العربية بل كانت لها لهجاتها المحلية وعاداتها وتقاليدها التي تميزها وحضارتها الخاصة بها ، وكانت العلاقة بين سكان هذه المديرية مع سكان شمال السودان من خلال أولئك التجار الجلابة ، ولم تكن بتلك المنطقة حكومة مركزية موحدة ونظام إداري موحد وكان للجلابة وضعاً متميزاً فقد أسسوا لهم ممالك تجارية تسمى الزرائب* . وكان لكل جلابي جيشه الخاص به لحمايته وللدفاع عن زريبته وتجارته من الغارات وكان هو الحاكم المطلق داخل هذه الزريبة ، وامتلكوا لذلك الأسلحة النارية والذخيرة التي سلحوا بها أفراد قواتهم للحماية[22].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كانت تجارة سن الفيل وريش النعام قد زاد الطلب عليها وراج سوقها في مصر ودول الشرق عامة وهذا السبب أدى لتشجيع المغامرين من مصر والسودان على اقتحام أحراش الجنوب وارتياد غاباته للحصول على هذه السلع ذات العائد المادي السريع. [23] ، بجانب ذلك فقد كان للمديريات التي تقع جنوب النيل الأبيض هوى وجاذبية في نفوس الشباب من شمال السودان بحسبانها منطقة مجهولة لم تكتشف بعد ومكاناً للمغامرة والبحث عن الثروة والمال والجاه ولذلك كان كثير منهم يذهبون لتلك المناطق في جماعات صغيرة ومسلحة بغرض التجارة في منتجاتها بحثاً عن العائد المادي السريع وكانوا ينشئون الزرائب لهذا الغرض[24] .

ولقد كان من الشباب الذين أستهوتهم التجارة في جنوب السودان والمغامرة في غاباته ابن عم للزبير باشا يسمى محمد عبد القادر والذي كان صديقاً له في طفولته ورفيقاً له في صباه ، وكان محمد عبد القادر

---

* الجلابة : هو لفظ أطلق على التجار الشماليين الذين مارسوا التجارة من جنوب السودان أو في دارفور وكردفان.

* الزرائب : هي محطات تجارية اتخذها التجار الجلابة في الجنوب وهي مربعة الشكل ومحاطة بالشوك وجذوع الأشجار يقيم فيها التاجر وبضائعه مع حراسته المسلحة وتحت إدارته .

[22] القدال ، الدكتور محمد سعيد : تاريخ السودان الحديث 1820 م،1955 م، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1993 م، ص44و43

[23] شلبي، الدكتور أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص 328 .

[24] فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص 18 .

– شلبي ، الدكتور أحمد : المرجع السابق ، ص328.

EDITORIAL

هذا قد التحق بخدمة التاجر المصـــري علي أبو عموري* وعمل معه في إدارة تجارته والذي كان نشـــاطه التجاري متركزاً ما بين بحر الغزال حيث زرائبه التي تسـمى عاشـور والقاهرة والخرطوم وقد كان لعائلة أبي عموري هذا علاقة مع الفيل عم الزبير باشـا ، وكانت قوافل أبي عموري تتجه نحو بحر الغزال ولذلك شـد محمد عبد القادر رحاله مع تلك القوافل متوجهاً نحو تلك المناطق المجهولة ، وعندما سـمع الزبير بهذا الخبر قرر أن يلحق بابن عمه حتى يرجعه عن تلك الرحلة ويقنعه بالرجوع والعدول عن رأيه ولكنه أصـر على المضي في رحلته الى بحر الغزال عند ذلك اقسم الزبير قسماً على ابن عمه ليرجعن او ليسافرن معه ولا يتركه لوحده في هذه الرحلة ، وعندما لم يتراجع محمد عبد القادر وأصـر على رأيه لم يكن أمام الزبير الا السفر معه ومواصلة الرحلة برفقته براً بقسمه وكان ذلك في 14 محرم / 1223 هـ الموافق 14 / سبتمبر / 1856 م [25].

وهناك رواية أخرى تذكر أن أبا عموري وافق على رجوع محمد عبد القادر مع الزبير ولكنه طلب من الأخير أن يبيت معه الليلة ولكن خلال الليل أقلعت المراكب وعندما أشـرقت الشـمس وجد الزبير نفسه متوجهاً لبحر الغزال رغماً عنه ولم يكن له حينذاك مال ولا سـلاح وبدا في هذه الرحلة فقيراً مسـكيناً وكان ابن عمه يقاسمه طعامه ولم يكن يحمل معه سوى مصحف فقط في تلك الرحلة [26].

ويتحدث الزبير في مذكراته عن قصته مع الجنوب بقوله : (. . وفي عام ثلاث وسبعين بعد الألف ومائتين هجرية أخبرت أن ابن عمي محمد عبد القادر توافق مع احد التجار المدعو علي أبو عموري واخذ منه مبلغاً من النقدية على أن يذهب معه إلى بحر الغزال بصفته مستخدماً بطرفه ، وحيث كانت جهات بحر الغزال من الجهات المستبعدة فقد أخذتني الشفقة القلبية على ابن عمي المذكور فهممت بإرجاعه وطلبته من

---

* علي أبو عموري: من تجار صعيد مصر من أهالي نجع حمادي وكان من اكبر التجار في السودان اثناء الحكم التركي وكانت تجارته تتركز في بحر الغزال والخرطوم وله زريبة مشهورة تسمى عاشور .

– انظر ، شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص 259.

[25] سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 15.

- شقير ، نعوم : المصدر السابق ، ص 15 .
- الجمل ، الدكتور شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص 169 .
- الأيوبي ، الياس : مرجع سبق ذكره ، ص 43 .
- برير ، محجوب : مرجع سبق ذكره ، ص 21 .

[26] فلوراشو: مصدر سبق ذكره ، ص 18 .

EDITORIAL

علي أبو عموري فاخبرني عن سبق ذكره إلى بندر ود شلعي فلحقته وأخذت ألاطفه ليثني العزم عن السفر ويرجع معي فأبى واقسم بالله أن لا يرجع وحلفت أن أسافر معه إن لم يرجع ، وكنت زاعماً ألا يرضى بغضبي ، ويصعب عليه سفري لمرافقته دون قصد سواه فلم يؤثر فيه حلفي ، وصمم على سفره فعزمت أنا من ذلك المحل على السفر مع علي أبو عموري أيضا قصداً للسياحة معه ومرافقة ابن عمي المذكور. .)[27]

ومن ثم أبحرت القافلة التي تقل الزبير على متنها وكان في بداية الرحلة مغموراً لا ذكر له وقد عامله علي أبو عموري بقسوة وعنف وكان يسخر منه ولا يعطيه من الطعام إلا ما يسد رمقه ومع ذلك كان يكلفه بأشق الأعمال وأصعبها خلال الرحلة ، وعندما وصلت القافلة لمشارف بحر الغزال وزع أبو عموري الأسلحة والذخائر على أفراده ولم يحرم من ذلك سوى الزبير الذي طلب تسليحه كبقية القوم وبعد إلحاح شديد منحه أبو عموري مسدساً قديماً صديئاً وقام الزبير بنظافته وإصلاحه وواصل معهم الرحلة حتى وصلوا مشرع الرق ذلك الموقع الذي لم تكن السفن تستطيع أن تخترقه جنوباً لوجود نباتات السدود وعندها طلب أبو عموري من الزبير ان يبقى مع المراكب التي تمكث في مشروع الرق لمدة أربع اشهر ولكن الزبير رفض ذلك واصر على مرافقة الرحلة والتي تواصلت بالأرجل حتى وصلت بلاد الجور* وبلاد الجانقية واموكوال وابيم ولقلق وعفوق ومنها لزريبة أبو عموري عاشور والتي سميت بذلك على اسم شيخ البلد فدخلوها في 17/صفر /1237 هـ الموافق 15/ أكتوبر/ 1856 م[28].

2/ بروز مواهبه الإدارية والحربية :

وبعد وصولهم لزريبة عاشور قام أهل الإقليم الوطنيون السود بثورة في تلك المنطقة طمعاً في أموال التجار وممتلكاتهم وذلك في عام 1274 هـ الموافق 1857 م فتجمعوا وداهموا الزرائب وقتلوا عدداً من التجار وسلبوا ونهبوا أموالهم وبضائعهم ، وفي أثناء ذلك قام الزبير رحمة بقيادة مجموعة من الجنود التابعين لأبي عموري ونظمهم وهاجم بهم الأهالي الثائرين وقام بإشعال النار في مساكنهم ومن ثم تيسر له هزيمتهم ودحرهم وتشتيت شملهم وقد اظهر الزبير في هذه المعركة شجاعة فائقة واستبسالاً نادراً وذلك

---

[27] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص 1 .

* بلاد الجور : يعني منطقة قبيلة الجور والتي تسكن منطقة بحر الغزال .

– انظر المعتصم ، محمد : جنوب السودان في مائة عام ، طبعة أولى ، 1971م ، بدون دار النشر ، ص43

[28] سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص15 .

– فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص19

– شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص 259 .

– الأيوبي ، الياس : مرجع سبق ذكره ، ص 43 .

EDITORIAL

لتدربه على الفروسية والصيد في شبابه، وهذه الحادثة أدت لأن يغير أبو عموري نظرته تجاه الزبير وعمل على تقريبه منه وجعله من خاصـــة رجاله نتيجة لبطولته فاخذ يتقرب منه ويتودد إليه ثم أعطاه نصـــيباً من الأرباح وجعله ســاعده الأيمن في إدارة إعماله[29].بعد أن كان يســتخف به ويحتقره لأنه كان ســبباً في نجاته وسلامة أمواله وتجارته بفضل شجاعته وبسالته ومن ثم أدت هذه الواقعة لالتفاف تجار المنطقة من أصحاب الزرائب حول الزبير وأصبح بعد ذلك أهل البلاد يخشونهم ولا يهاجمونهم [30].

هذا الانتصار الذي تحقق بفضل الزبير أدى لأن يعرض عليه علي أبو عموري الشراكة في تجارته بنصيب يبلغ العشر وكذلك أصبح من رجاله المقربين ومن ثم اقترح الزبير على أبي عموري عقد صلح مع الأهالي الثائرين لكسب ودهم واحترامهم والتعايش معهم بدل الحرب والاقتتال معهم وذلك لكي يستفيدوا منهم في عملية التبادل التجاري السلمي وبالفعل عقد الصلح نظير خمسة وعشرين خرزة بيضاء عن كل قتيل منهم فرضي الأهالي بالصلح وصاروا يتاجرون معهم بالعاج وريش النعام وغيره وانتقل بالحال بينهم نتيجة لهذا الصلح لعلاقة ودية سلمية ، وكانت من عادة التجار من قبل أن يعاملوا الوطنيين السود بخشونة وقسوة لذلك سادت بينهم العداوة وتعددت بينهم الاشتباكات والمعارك ولذلك كانت قوافل الاستكشاف التي يرسلها التجار من حين لآخر للتجارة تتعرض للمهاجمة والسلب والنهب والتقتيل من قبل المواطنين لسوء العلاقة بينهم والتفاهم فكان التجار لهذا السبب يفقدون الكثير من رجالهم وأسلحتهم في تلك المعارك والحملات ومن ثم تزداد تكلفة التجارة ، ورأى الزبير عقم هذه الطريقة وخطأها فأفصح برأيه هذا لعلى أبي عموري والذي لم يكن منه إلا وان عهد إلى الزبير بأمر تنظيم تلك الرحلات وعندها ابتدأ الزبير في ذلك الأمر بأن تكون تلك السرايا والحملات الاستكشافية التجارية كبيرة العدد وجيدة التسليح ويقودها الزبير بنفسه ومن ثم طبق عليها نظام عسكري صارم وحرص على كسب ثقة المواطنين بعدم التعرض لهم وعدم أخذ بضائعهم إلا مع التسديد الفوري لقيمتها ولذلك أسفرت هذه السياسة في التعامل التجاري عن تأمين كامل لتجارته وذيوع صيته واكتشافه لمناطق جديدة وعند رجوع أبي عموري من الخرطوم بعد ستة شهور وجد إن ما جمعه

---

[29] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص 1 .

[30] فلوراشو : المصدر السابق ، ص 43 .

– شقير نعوم : المصدر السابق ، ص 261 .

– شلبي ، الدكتور أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص 329 .

EDITORIAL

الزبير من عاج في تلك الفترة الوجيزة يفوق ما يجمعه هو في سنوات وذلك نتيجة لحسن إدارته لأمر التجارة فزادت مكانته عند أبي عموري وعرض عليه الشراكة بالنصف ولكن الزبير رفض [31].

وقد عزا الزبير رفضه مشاركة أبي عموري في تجارته إلى طموحاته العظيمة التي لم يتسع لها مشروع أبي عموري ، فقال (. . كانت الآمال قد بدأت تجيش في نفسي ، وروحي قد بدأت تتشوق إلى الرحيل والمغامرة ، وكان عزمي قد استقر على أن اشتغل في أعمالي وأن أبدأ في الاتجار لحسابي. .) [32] .

رفض الزبير مشاركة أبي عموري في تجارته لأنه خبر أرض الجنوب وما تحويه من التجارات وطرائق الكسب وبعثت فيه الرغبة ليصبح واحداً من التجار الكبار بعد أن آنس في نفسه الكفاءة والقوة والمقدرة لأن يكون تاجراً يشار إليه بالبنان [33].

3/ توطيد علاقته مع زعماء القبائل :

وبعد أن رفض الزبير مشاركة علي أبو عموري في تجارته جمع ما كسبه في خلال تلك الفترة من أنواع التجارة واتجه به نحو الخرطوم ويقول عن ذلك (.. في اليوم السابع من شهر ربيع سنة1274 هـ صار وصولي إلى الخرطوم وكنت في أثناء إقامتي بتلك الجهات قد اكتسبت معرفة بأحوال البلاد المذكورة وطبائع أهلها وكيفية معاملتهم ووجوه المكاسب التجارية في بلادهم فلذلك اشتريت ذهبية* بما ربحته في تلك النواحي واستجلبت مستخدمين بالماهية بحرية لملازمة الذهبية ، وبرية لملازمة السفر معي في البر واشتريت بضائع لائقة لأهل تلك البلاد وكل ذلك على وجه الفور والعجلة انتهازاً للفرصة ، وأيضاً اشتريت لكافة المستخدمين أسلحة نارية وما يلزم لها من الذخائر لأجل الدفاع بها عن أنفسنا وأموالنا ، وفي اليوم السابع من رجب سنة1274 هـ نفسها صار قيامنا من الخرطوم متوجهين إلى بحر الغزال ولما كانت بلاد الجور وما يليها من بلاد البنجو أكثر تردد التجار إليها أحببت أن اتجاوزها مغرباً إلى بلاد قولو واندقو

---

[31] شقير نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص261 .

- سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص20.
- الأيوبي ، الياس : مرجع سبق ذكره ، ص43 .
- برير محجوب : مرجع سبق ذكره ، ص22 .

[32] مذكرات الزبير : مصدر سبق ذكره ، ص 1-2 .

[33] أبو سوار ، الدكتور جعفر : مرجع سبق ذكره ، ص 60.

EDITORIAL

ليحصل لي الانفراد بمكاسبها فجزتها مغرباً إلى بلاد قولوا واندقو التي هي تحت السلطان كواكي* وحكمه فجعلت لي مركزاً هنالك وأقمت معه حينذاك . .)[34]

هذا وقد وجد الزبير من قبل الملك كواكي* معاملة طيبة ورحب به وسمح له بالتجارة في دياره والذي بقى عنده لمدة من الزمن واستطاع أن يجمع فيها الكثير من العاج وريش النعام وغيرها من منتجات المنطقة وقام بإرسالها للخرطوم مع ابن عمه محمد أحمد رحمة الذي باعها واحضر له بأثمانها بضائع وكان ذلك في 17/ربيع الأول 1276 هـ الموافق 14/أكتوبر 1859 م [35] .

وفي أثناء مبادلة الزبير لبضائعه التي احضرها ابن عمه والتي تشمل الخرز والودع والدمور مع الأهالي سمع وهو في بلاد قولو بوجود بلاد واسعة تقع جنوب غرب المنطقة وأنها تتميز بكثرة العاج فيها وانخفاض أسعاره كذلك وهي بلاد النمانم أو النيام نيام (الزاندي) والتي يحكمها سلطان يسمى الملك تكمه* فعزم الزبير على الرحيل إلى بلاده والمتاجرة مع أهلها والاستفادة من خيراتها وحاصلاتها وكان مع الزبير آنذاك النور عنقرة[36] .

ويتضح من سيرة الزبير وسياسته في تلك البقاع أنه لم يكن تاجراً عادياً بل كان تاجراً موهوباً أقام تجارته وأدارها على أسس غير أسس التجار العاديين الذين سبقوه بل اتخذ له أساليب جديدة فلم يهاجم القرى الآمنة ولم يداهم القبائل الضعيفة والموادعة كما فعل أسلافه بل انتهج نهج الموادعة والمسالمة والمعاملة

---

* الذهبية : نوع من السفن النيلية التي يستخدمها التجار في نقل بضائعهم

– انظر ، أبو سوار : الدكتور جعفر : الزبير باشا رحمة وعلاقته بالقوي الإقليمية المجاورة ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لجامعة أم القرى ، السعودية ، 1419هـ ، ص65 .

[34] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص 1 .

* كواكي : ورد في مذكرات الزبير باسم الملك كريم وهو أحد سلاطين قبائل النوير .

[35] الجمل ، الدكتور شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص 169 .

- سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 24 .
- الأيوبي ، الياس : مرجع سبق ذكره ، ص44 .

* السلطان تكمة : هو احد ملوك الجنوب والذي اشتهر بالعدل والكرم وقد أقام الزبير عنده عزيزاً مكرماً ما بين عامي (75 ، 1278 هـ) وتزوج ابنته رانبوه فتوثقت بهذه المصاهرة العلاقة بين التاجر الشمالي والملك الجنوبي.

[36] سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 24 .

EDITORIAL

بالحســـنى مع الأهالي وكانت النتيجة الحتمية أن اتســـعت تجارته وزادت ثروته وهما العاملان اللذان قادا الزبير فيما بعد ليصبح ملكاً على تلك البلاد [37].

ويقول الزبير عن مســـيره إلى بلاد النمانم (. . وما زلنا مقيمين في البلاد المذكورة إلى أن رجعت إلينا مراكبنا في اليوم السابع عشر من ربيع الأول عام1275 هـ مشحونة بالبضائع ، وفي أثناء إقامتنا ببلاد قولو واندقو نقلت إلينا أخبار بلاد النمانم وما فيها من كثرة ســـن الفيل . . وأمان بلاده واتســـاعها ، فرغبنا الرحيل إليها والتودد إلى ملكها بالهدايا لنحوز الربح العظيم من بلاد فتجهزنا بما يلزم للســـفر وبارحنا لبلاد قولو واندقو في غرة جمادي الأول عام تاريخه . .) [38]

ومن ثم اتجه الزبير لبلاد النمانم وكان على رأســـها آنذاك الملك زنقابور فأقام الزبير بينهم ومارس معهم تجارته بصـفة ودية وفي سـلام كامل حتى توفى الملك زنقابور والذي خلفه على الملك ابنه تكمه ولقد كانت قبيلة النيام نيام من القبائل الوثنية وقد اشـتهروا بأنهم كانوا من أكلي لحوم البشـر ولقد وصـفها الزبير باشـــا بأنها البلاد التي لا مقابر بها ولقد كانوا يأكلون الســـجناء من ذوي الجنايات مثل اللصـــوص والزناة وأســـرى الحروب المتعددة التي كانوا يخوضـــونها مع بعضـــهم البعض ولقد كانوا قوم لا يعرفون الزراعة والتجارة ، ولقد استطاع الزبير بعد أقامته في تلك المنطقة وبحنكته أن يقنع الملك تكمه بضرورة إنشاء جيش دائم وثابت. ونصحه بأن يفتدى الأسرى من الشباب وذلك للاستفادة منهم في الخدمة العسكرية بدل أن يؤكلوا وقد حاز هذا الرأى على قبول الأهالي وتحمسـوا له ، وفي أثناء ذلك نشـبت حرب بين السـلطان تكمه وأحد السلاطين ويسمى مريسـه والتي اشترك فيها الزبير بفرقة من الجنود بعد أن سلحهم بالبنادق وعندما وصل الجيش لعاصـــمة عدوهم وجدوها خالية ووجدوا أمام منازلهم كمية من الخمور البلدية فأدرك الزبير أن في الأمر خدعة فأمر جنوده بعدم الاقتراب من الخمور ولكن الجنود خالفوه وسكروا منها وصـدق حدس الزبير إذ هاجمهم السـلطان مريسـه بجيشـه بضـراوة شـديدة ولكن الزبير نجح في إخراج الملك تكمة من المعركة سـالماً بعد جرح الزبير في فخذه وهذه الحادثة والمعركة أدت لرفع مكانة الزبير لدى السـلطان تكمه ومن ثم قربه إليه ونال عنده الحظوة والمكانة الرفيعة وزوجه ابنته رانبوه توثيقاً لتلك العلاقة [39].

---

[37] جاكسون ، هـ. س: غردون باشا ، تعريب عزيز يوسف عبد المسيح ، جمعية نشر المعارف المسيحية ، بدون تاريخ ، دار النشر والبلد ، ص65 .

[38] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص 2 .

[39] فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص22-23 .

EDITORIAL

وبعد أن قضى الزبير فترة من الزمان في بلاط صهره الملك تكمه وعلا مقامه بتلك المصاهرة في عيون أهل البلاد ، وزادت تجارته رواجاً حتى اجتمع عنده في وقت قصير الشئ الكثير رأى أن يتجه بهذه البضاعة إلى الخرطوم فاستأذن الملك في المسير الى الخرطوم ورجع ثانية فأذن له لبيع ما جمعه من بضائع ومنتوجات والعودة ببضائع تفيد منطقته من الخرطوم فسمح له الملك تكمة بالسفر فغادر إليها في 17/رمضان 1278 هـ الموافق 18/مارس /1862 م وتجهز لمسيره وسار حتى بلغ زريبة صديقه علي أبي عموري وترافقا معاً للمسير إلى الخرطوم ولكنهما ضلا الطريق في نهر البنقو لمدة خمس وسبعون يوما لأنها منطقة مستنقعات ممتدة الأطراف وقد عانوا في أثناء الرحلة من نقص الطعام حتى نفد كلياً واشرفوا على الموت بل توفي جزء كبير من رجالهم وفي أثناء تخبطهم في تلك المستنقعات لاح لهم دخان من بعيد مراراً فعمل الزبير على معرفة مصدره إدراكاً للنجاة وبحثاً عن الطعام فاصطحب ستة من رجاله حتى وصلوا جزيرة تسمى بوهول* واصطادوا في ساحلها تمساحاً وأرسلوه لصحبهم حتى يقتاتوا به ولكن الزبير وجد أن رفاقه قد ماتوا ولم يتبق إلا أبو عموري وستة من رجاله[40]

وعلم الزبير أن هذه الجزيرة تسكنها قبيلة النوير وعليهم ملك يسمى كُرُيم وعند وصولهم لشاطي الجزيرة تجمع الأهالي حولهم وأحاطوا بهم في عداء سافر يريدون الفتك بهم وكان من حسن حظ الزبير انه يعرف لهجتهم فأبان لهم انه أتى لزيارة ملكهم وليشتري منهم طعاماً ولم يأتي معتدياً عليهم وبالفعل اشترى منهم أبقار لإطعام رفاقه بعد أن بادلهم إياها بالخرز ثم توجه لمقابلة ملكهم كريم الذي سأله عن وجهته فأوضح له موقفهم وانه يود شراء الطعام لرجاله فجهز لهم الملك عشه ليقضوا فيها ليلتهم ولكن الزبير علم أن رجال القبيلة وأعيانها أصروا على الملك بأن يقتلهم خوفاً من أن يرجعوا ويطردوهم من جزيرتهم وعندما استفسر الزبير الملك عن ذلك العداء الذي قابلهم به رجاله أمنه الملك وأكد له أنهم لن يهاجموه ولكنه أوضح له بأنه لا يضمن سلامتهم بعد خروجهم عن دياره وحدود مملكته[41].

---

* جزيرة بوهول : جزيرة تقع شمال منطقة حفرة النحاس وعلى الجانب الغربي من بحر العرب وتسكنها قبيلة النوير
انظر – سعد الدين : المصدر السابق، ص 26 .

[40] شقير ، نعوم :المصدر السابق، ص 263– 264 .
- الجمل ، الدكتور شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص169 .
- فلوراشو : المصدر السابق ، ص 26–29 .
- الطاهر ، خليفة عباس : مرجع سبق ذكره ، ص 100 .

[41] فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص22–23 .
- سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 25–26 .

EDITORIAL

وعند ذلك أدرك الزبير نية قوم الملك في مهاجمته بعد خروجهم من بلادهم والفتك به ولذلك تولى الزبير بنفسه حراسة رفاقه في المساء وصادف أن هاجم أسداً عشتهم ذلك المساء فاصطاده الزبير ببندقيته وعندما سمع الملك ورجاله صوت الرصاص تجمعوا ليجدوا الأسد ميتاً فسر الملك لذلك وفرح فرحاً عظيماً لشجاعة الزبير وقوته وكذلك لتهديد الأسد لهم منذ زمن بعيد ولأنهم عجزوا عن قتله وقد كبدهم خسائر كبيرة في الناس والدواب وبعد ذلك عقد الزبير صلحاً مع الملك بعدم التعرض له وحاول الملك استمالته واستبقاؤه وتزويجه ببنته ولكنه رفض واعتذر اعتذاراً رقيقاً ثم استأنف رحلته للخرطوم التي وصلها بعد إحدى عشر شهراً لأنهم ضلوا الطريق مرة أخرى وهلك معظم رجاله ولم ينقذهم من الموت المحتم إلا مرور أحد التجار من بحر الغزال ويسمى عبد الرحمن أبو قرون والذي قدم لهم الطعام والماء ودلهم على الطريق فوصلوا مشرع الرق في 12 محرم /1280 هـ الموافق 19/يوليو/1863 م ومن ثم وصولا الخرطوم في ربيع أول 1280 هـ الموافق سبتمبر/1863 م[42].

وفي الخرطوم مكث الزبير بضعة أشهر باع خلالها ما معه من التجارة واشترى بثمنها بضائع أخرى مما يروج في بلاد الجنوب كما اشترى أسلحة وذخائر وزاد عدد رجاله العاملين معه ، ثم مضى يستعد لرحلة جديدة إلى أحراش الجنوب فتوجه ثانية إلى بلاد النمانم تلك البلاد الواسعة ذات الخيرات الكبيرة الوافرة والأمن المستتب ، بالإضافة إلى أنها بلاد صهره الملك تكمه ففي: 1/22ي العقدة /1280 هـ الموافق 29/ابريل/1864 م غادر الزبير بقافلته الخرطوم قاصداً بلاد مركز صهره الملك تكمة فوصلها في 20:صفر / 1281 هـ[43].

وبعد وصول الزبير لبلاد الملك تكمه قدم له هدايا ثمينة فسّر بها سروراً عظيماً وأولم له وليمة فاخرة تليق بمقامه وظل الزبير فترة من الزمن ينعم بترحاب الملك تكمه وإكرامه وتقديره ولم يكتف الزبير بتوثيق علاقته بالملك وحده بل امتدت علاقته إلى كثير من ملوك وسلاطين الجنوب ، وكان لأسلوبه الحكيم في

- برير، محجوب: مرجع سبق ذكره ، ص263 .

[42] شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص 263 –264 .

- فلوراشو : المصدر السابق ، ص 26–29 .
- سعد الدين : المصدر السابق ، ص 26–27 .
- الجمل ، الدكتور شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص 169 .
- الأيوبي ، الياس : مرجع سبق ذكره ، ص 44–45 .

[43] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص2

EDITORIAL

التعامل مع هؤلاء السلاطين والملوك بل مع أهل الجنوب بصفة عامة ابلغ الأثر في تمهيد الطريق ليصبح الزبير فيما بعد حاكماً يسعى للناس بالأمن والعدل بدلاً من التاجر الذي يسعى وراء الربح والكسب فقط [44] .

ونجد أن كل المصاعب والأحداث التي تعرض لها الزبير لم تثنه عن مواصلة المغامرة في تلك البقاع المجهولة ولم تجعله يؤثر التجارة في شمال السودان بأمن وسلام وإنما كانت حافزاً له لمزيد من الاستكشاف والتوغل في جنوب السودان وكسب المزيد من الزعماء والقبائل للتعامل معه ، وعندما وصل الزبير لديار النمانم وفرغ من تصريف بضائعه التي احضرها من الخرطوم بدأ يفكر في الاستفادة من أصحاب الجنايات والأسرى الذين يؤكلون كما ذكرنا سابقاً في أن يفتدى الشباب الأقوياء منهم وعتقهم وضمهم إليه وبالفعل شرع في هذا الأمر. وبعد أن اشتراهم بدا في تدريبهم وتعليمهم على استخدام السلاح الناري والذخيرة وأصول العسكرية والجندية المنضبطة ليكونوا حرساً له ولقد استطاع في فترة وجيزة أن يجمع أكثر من ألف وخمسمائة رجل منهم ، هذا المسلك الجديد والغريب في المنطقة أثار مخاوف الملك تكمه وأعيان دولته وتوجسوا خيفة من الزبير فأشاروا على الملك قتل الزبير حتى لا يزيد عدد جيشه ويستفحل أمره ولكن زوجته رانبوه علمت بهذا الأمر ونقلته للزبير ونصحته بالرحيل ومغادرة ديار أبيها ليضمن نجاته [45] .

وعندها أدرك الزبير باشا خطورة إقامته في بلاد النمانم للمخطط الذي أخبرته به زوجته، وبدأ يتزلف للملك تكمه ورجاله واعيان دولته بالهدايا الثمينة ثم استأذنه في السفر والرحيل إلى بلاد الملك دويه بحجة كثرة العاج فيها وطلب منه أن يستصحب رجاله معه خوفاً من غدر الملك دويه ، ورضي له الملك تكمه بذلك على مضض بعد ان تقرب منه الزبير وأزال بعض شكوكه ولكنه مع ذلك أمر رجاله بمهاجمة الزبير بعد مغادرته لدياره وبالفعل نصبوا له كميناً ولكنه استطاع هزيمة رجال الملك تكمه لأسلحته النارية والتنظيم الجيد لرجاله[46] .

---

[44] أبو سوار ، الدكتور جعفر : مصدر سبق ذكره ، ص68 .

[45] شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص64

- الأيوبي ، الياس: مرجع سبق ذكره ، ص45 .
- الجمل ، الدكتور شوقي : مرجع سبق ذكره ، ص 169 .

[46] الطاهر ،خليفة عباس : مرجع سبق ذكره ، ص 55.

- شقير ، نعوم: مصدر سبق ذكره ، ص 265 .
- الجمل ، الدكتور شوقي ، مرجع سبق ذكره ص265 .

EDITORIAL

وكانت العلاقة بين الملك تكمه والملك دوية يسودها العداء المستحكم مما أدى لأن يستقبله الأخير على مشارف حدود دولته وأكرم استقباله وجواره نكاية في عدوه وعمل على إمداده بالمؤن والغذاء وسمح له بالمتاجرة معه في سلام ولكن الملك تكمه أرسل جيشاً هزم به جيوش الملك دويه مما أدى لفراره ، ولكن رسل الملك تكمه وقواده طلبوا من الزبير بعد هزيمة حليفه مغادرة الإقليم الذي أصبح بعد النصر تابعاً لهم وذلك لأن حرمة المصاهرة بين الزبير وملكهم تمنعهم عن محاربته فلم يجد الزبير بداً من مغادرتها فغادرها الى بلاد أخرى[47].

غادر الزبير بلاد الملك دويه إلى بلاد قولو والتي تسمى أحياناً بلاد المندقبا* ووجد أن ملكهم يسمى الملك عدوه شكو وقد وصل إلى دياره في محرم 1282 هـ الموافق مايو /1885 م وكان الزبير قد أرسل قبل حضوره لهذه الديار عمه منصور ولكن الملك عدوه شكو باغته وقتله غدراً ولذلك خاف الملك من مقدم الزبير ظاناً انه أتى للأخذ بثأر عمه لذلك قابله بعداء شديد ولم يسمح له بالإقامة في دولته ، ولكن الزبير أوضح له أن غرضه التجارة في مملكته في سلم وأمان وانه لم يأت محارباً ولا منتقماً وتزلف له بالهدايا الثمينة حتى يكسب وده، ولكن الملك رفض طلبه وأصر على الزبير بأن يغادر دياره خاصة وأن مجموعة من التجار الذين وفدوا قبله لتلك البلاد لم يحسنوا التصرف فيها وأساءوا معاملة الأهالي وأحدثوا فيها القلاقل والاضطرابات بخطل مسلكهم وهذا السبب جعل الملك عدوه شكو يتشدد في رفضه وبعد أخذ ورد توصل الرجلان لعقد أن يقيم الزبير بينهم لمدة ستة أشهر ريثما ينقضي فصل الخريف وخصص للزبير معسكراً على بعد أربعة ساعات من عاصمتهم وعمل الزبير بعد استقراره في معسكره على تحصينه وبني به المخازن الضخمة وبدا في التعامل والتبادل التجاري مع الأهالي وفرض انضباطاً صارماً على رجاله ومنعهم من الاعتداء على المواطنين وأمرهم بدفع أثمان البضائع في الحين وبدا يتزلف للملك وأعيانه بالهدايا [48].

---

[47] شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص64

- الأيوبي ، الياس: مرجع سبق ذكره ، ص45 .

* بلاد المندقبا: تقع بين خطي عرض 7 –9ْ ش ، 25– 23ْ يحدها شرقاً ديار بنا وشمالاً ديار الفرتيت ومن الجنوب حفرة النحاس لقد سماها شفا تيقورة ديم اندقو .

[48] فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص 31– 32 .

- شلبي، الدكتور أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص 329 .

EDITORIAL

ورغم هذا التعامل السلمي من الزبير للملك ورعاياه إلا أن الملك عدوه شكو بدأ يتخوف من التحصينات التي أقامها الزبير حول معسكره واستفسره عن سببها وبرر الزبير ذلك الفعل بغرض الحماية من الحيوانات الضارية والوحوش التي تهدد رجاله ، ومن ثم واصل الزبير في تدعيم دفاعاته وتحصيناته حول المعسكر وتوسيع مخازنه وعندما سأله الملك مرة أخرى عن دواعي ذلك أوضح له بأنها سوف تكون خالصة له بعد مغادرته لديارهم ، وبعد انقضاء المهلة التي منحها الملك للزبير طلب منه مغادرة دياره لانتهاء موسم الأمطار ولكن الزبير طلب مهلة أخرى بحجة إحضار أعوان له لمساعدته في نقل بضائعه وأرسل رسلاً لإخبار الملك بطلبه هذا ولكن الملك قام بقتلهم مما أدى لاستعداد الزبير للحرب لأنه أدرك أنها آتية لا محالة وبالفعل قام الملك عدوه شكو بمهاجمة معسكر الزبير واستمرت الحرب بينهم سجالاً لمدة ثلاثة أيام استبسل فيها الزبير وجنوده رغم قلتهم ولكن سلاحهم الناري وتنظيمهم الجيد أدى لهزيمة الملك رغم كثرة عدد جنوده في اليوم الرابع ومن ثم اخضع الزبير عاصمة الملك ودخلها وفر رجالهم [49].

وبعد هزيمة الملك عدوة شكو خلفه على الملك ابنه الملك شايدا والذي بدأ في جمع رجال والده الفارين وشن بهم هجوماً جديداً على معسكر الزبير ولكنه انهزم كذلك وفر هو ورجاله لجبل سيراجو وتحصن فيه وهاجمه الزبير في ذلك الجبل ولكنه انهزم وجرح في ساقه وذلك لقوة تحصينات الملك شايدا وسط الجبال إلا أن الزبير انتصر وأصبح يحكم تلك المنطقة واتخذ من بايه* عاصمة له وسماها ديم الزبير [50].

أما أهل البلاد فقد أصبحوا بعد هذه المعركة يخشونه ويرهبون لقاءه وهذا ما أكده الزبير بقوله (ورهبتني قبائل المجوس وخشيت سطوتي وانتشر صيتي بينهم)[51] ولهذا فان الزبير بدا صلاته بأهل الجنوب

- الرافعي ، عبد الرحمن : عصر إسماعيل الجزء الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1981 م ، ص133.

[49] شقير ، نعوم : مصدر سبق ذكره ، ص 266 .

– مذكرات الزبير : مصدر سبق ذكره ، ص 4 .

*بايه تقع على احد روافد بحر الغزال ويسمى بير في غرب مدينة واو بين خط طول 26–28 ش، 6–8 ق وتبعد عن مدينة واو 38كم .

– نقولا ، الدكتور زيادة وآخرون: مرجع سبق ذكره ، ص36 .

[50] خليفة ، عباس ، مرجع سبق ذكره ، ص 266 .

[51] مذكرات الزبير باشا ، المصدر السابق ، ص1 .

EDITORIAL

بعلائق مشـــوبة بالحذر وكذلك بدا الجنوبيون علاقتهم معه بخوف ورهبة ولكن الزبير اســـتثمر هذه الرهبة والخوف ، واجتهد في التقرب إلى الملوك والزعماء وحاول كسب وّهم مثل السلطان كواكي والسلطان تكمه والسلطان كُريم [52] .

هذا وقد وصف الزبير ذلك الإقليم الذي أقام فيه مملكته بأن أرضه مخضرة طول العام ووفيرة المياه من الأمطار والمجاري النهرية ولذلك اتخذها مقراً لإقامته وتميزت بجو صـــحي معافى معتدل الحرارة وخصـــبة التربة وتنبت فيه الأشـــجار المتعددة لوحدها حيث نجد الموز بأنواع متعددة وأحجام كبيرة وكذلك البطاطس والتبغ وقصـــب الســـكر والمطاط والعرديب والزهور المختلفة ، وبها أنواع متعددة من الحيوانات والوحوش والطيور ومع ذلك فهي وفيرة المعادن حيث يوجد بها خام الحديد والنحاس ، ورغم ذلك كله كان أهالي المنطقة فقراء بؤساء لجهلهم بما في منطقتهم من خيرات وكانت حياتهم تتوزع ما بين الصيد والحرب والاقتتال فيما بينهم ، ولكنهم رغم ذلك طيبون ولطيفو المعشر وكانوا يجهلون التجارة والزراعة ولهم لهجات متعددة ولقد اســـتطاع الزبير أن يحفظ ســـتة عشـــر لهجة من لهجاتهم ، وتتعدد عندهم الديانات والمعتقدات وتختلف وهم يعبدون الماء والنار ويقدمون لهما القرابين ويقدسون بعض الحيوانات ولا يقتلونها [53] .

والزبير عندما يوثق علاقته بملك أو سلطان بالمصـاهرة لم يكن بدعاً في ذلك وإنما كان هذا مسلك التجار العرب والمســـلمين منذ قديم الزمان في كل بلد يحلون فيه ولذلك أحس الناس بقربهم واســـتمعوا إلى دعوتهم ودخلوا في دين الله أفواجا، والمعلوم إن كثير من البلدان الأفريقية والآسيوية لم ينتشر فيها الإسلام بالغلبة والصـراع العسكري وإنما انتشـر استجابة لدعوة التجار المقيمين بينهم من العرب المسلمين وأيدها حسن خلقهم ومعاملتهم الصادقة وساعدت وشائج المصاهرة على ذلك [54] .

---

[52] مذكرات الزبير باشا ، المصدر السابق ، ص 2 .

– سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 20–34 .

[53] فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص 47–48 .

[54] Buork Hardt, J.I: Travels In Nubian, p217, London,1822

- مالك ، عباس محمد : العرب والعباسيون في السودان ، دار طني الخرطوم ، 1987م ، ص177.

فضل ، البروفسير يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان ، جامعة الخرطوم ،1971 م ، ص24 .

EDITORIAL

فالزبير بأصله العربي ونشأته الدينية وتمرسه في العمل التجاري أوضح لهم الأثر الذي يمكن أن تحدثه المعاملة الكريمة والروابط الأسرية مع كبار القوم والزعماء في ديار ه ومحتاج فيها إلى السند والحماية ولذلك حرص على المعاملة الكريمة والتودد وإظهار المحبة للملوك والسلاطين[55] .

ت :- الجيش ودوره في مملكة الزبير باشا :-

بعد أن تناولنا انتقال الزبير باشا من التجارة إلى الملك فسوف أتعرض في هذا الفصل لجانب أخر من حياة الزبير خاصة بعد أن استولى على المنطقة بأسرها ودخوله باية فقد وجد الزبير نفسه ملكاً مستقراً بدلاً من التاجر المتجول وانتقلت بالتالي همومه من الكسب والربح والمحافظة على التجارة إلى هموم السلطان ومتطلباته من أمن ودفاع واستقرار ورعاية لمصالح الآخرين . فلذلك لا بد من الحديث عن الأنظمة الحضارية التي وضع أساسها الزبير باشا في منطقة بحر الغزال خاصة النظام العسكري الذي أرسى قواعده وإنشائه للجيوش التي أدت لاستقرار مملكته وسيادة السلام فيها لأول مرة .

1/ تكوين الجيش :

لقد اهتم الزبير اهتماماً عظيماً ببناء القوة العسكرية لدولته بعد أن أيقن انه إن أراد لنفسه مجداً فلا بد له من جيش قوي يحميه ويوطد به سلطانه ويجعله مهاباً وسط التجار والجلابة وكذلك بين قبائل المنطقة المتوحشة والهمجية والمتحاربة دوماً فيما بينها ، ولإدراكه بخبرته الدفاعية التي اكتسبها أهمية الجيش حتى يهابه الأعداء ويحترمه الأصدقاء [56] .

وبدأت خطوات الزبير لإنشاء هذا الجيش لعام 1274 هـ الموافق 1858 عندما انفصل بتجارته عن أبو عموري ونوى المسير نحو الخرطوم وأستجار مجموعة من الرجال وسلحهم بالبنادق لحماية تجارته والدفاع عنها [57] وفي أثناء سيره للعاصمة مر بقرية تسمى شول حيث وجد فيها امرأة أوربية تقيم في منزل فخم لها ولها مجموعة من الحرس المسلحين بالبنادق فاشترى منها الزبير باشا الأسلحة ما يكفي المائة وخمسين رجلاً [58] .

ثم أتت مرحلة أخرى وهي عملية شراء الأفراد الذين كانوا يباعون في أسواق قبائل النمانم لأكلهم من أصحاب الجنايات وأسرى الحروب المتواصلة فيما بينهم حيث فكر الزبير في افتداء هذه الفئة للاستفادة

---

[55] أبو سوار ، الدكتور جعفر : مرجع سبق ذكره ، ص 70 .

[56] Jackson,H,C: Opcit ,p 66.

[57] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص2

[58] سعد الدين الزبير : مصدر سبق ذكره ، ص 36-37 .

EDITORIAL

منها في تكوين جيشــه الذي يحلم به ومن ثم يجعلهم في خدمته ، وبالفعل بدأ في شـراء وعتق الشـباب منهم حيث جمع أولاً حوالي خمســمائة رجل من القادرين على حمل الســلاح وبدأ يعلمهم ويدربهم على مبادي العسكرية وفنون استخدام السلاح الناري وذلك للاستفادة منهم وأطلق على ذلك الجيش اسم البازنقر [59] .

ثم اتجه الزبير نحو مصـدر أخر لتكوين جيشــه حيث بدأ يشـتري الرقيق الأقوياء والأصـحاء الذين كانوا يباعون في أسواق المنطقة آنذاك حيث كانت تجارة الرقيق منتشرة في المنطقة وبالفعل قام بشراء عدد من الرقيق واعتقهم وبدأ يدربهم على حمل السلاح وإجادة فنونه واستطاع أن يكون جيشاً بلغ في بدايته ألف وخمسمائة رجل بعد أن حببهم إليه ورغبهم في العمل معه بحسن المعاملة والرفق بهم مما أدى لأن يخلصوا له أشد الإخلاص وان يتفانوا في الدفاع عنه [60] .

وهذا الجيش الذي تكون كان سبباً في الخلافات والحرب التي دارت بين الزبير والسلطان تكمه ، والذي عمل بعد الانتصــارات التي حققها على ســلاطين المنطقة (.. عقد مجلســاً ضــم جميع الزعماء وســلاطين واعيان المنطقة التي خضعت لسلطاته أوضح لهم أن الأمن والسلام جاء في المنطقة نتيجة لقوة جيشه رغم قلته وطلب منهم أن يمنحوه فتيانهم وشــبابهم ليقوم بتدريبهم على حمل الســلاح ويجعل منهم جنوداً أشــداء يحاربون مثل جنوده بعد أن أوضح لهم أن سر النصر ليس في الكثرة وإنما في المعرفة والحكمة والتدريب الجيد ، لذلك تحمس الزعماء والأعيان لهذا الرأي وســروا به ســروراً عظيماً بشــبابهم إليه ليقوم بتدريبهم وعمل الزبير على استجلاب الأسلحة الكثيرة من مصر وكون جيشه الذي بلغ اثنا عشر ألف رجل وقد جعل من أبناء الأمراء وإتباعهم قواداً وعلمهم اســتخدام الأســلحة الحديثة وأصــبحوا نواة لجيشــه وعلمهم مبادئ الانضباط والنظام . .) [61] .

2/ استقطاب القادة العسكريين :

وبعد ذلك بدأ الزبير باشا في استقطاب القادة والعسكريين والجنود وتحفيزهم للعمل في بحر الغزال ليصــبحوا قادة لجيشــه فأحضــر معه من الخرطوم القائد رابح فضــل الله بعد أن ترك الخدمة في الجيش

---

[59] مكي ، الدكتور حسن : السياسة التعليمية والثقافية في جنوب السودان ، المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم بدون تاريخ ص 11 .

[60] الرافعي ، عبد الرحمن : مرجع سبق ذكره ، ص 134 .

– سعد الدين : المصدر السابق ، ص39

[61] فلوراشو : مصدر سبق ذكره ، ص 40 .

EDITORIAL

المصـري واسـتماله إليه بعد أن أغراه بالرحيل معه لبحر الغزال وقد أصـبح فيما بعد القائد الأول لجيوشـه واظهر بعد ذلك شجاعة فائقة وبسالة نادرة ، وكان سبباً في الكثير من الانتصارات التي حققها الزبير [62] .

وكان للتحالف الذي قام به الزبير باشـا والنور عنقرة أثره الفعال في تقوية وزيادة عدد جيش الزبير حيث تجاوز عدد جيش الزبير خمسة ألاف نفر جميعهم مسلحون بالأسلحة النارية فقد ذكر النور عنقرة ذلك بقوله (. . اجتمعنا نحن والزبير باشـا بالكبانية وكان تحت رئاسـتي زيادة على الألفين نفر تقريباً جميعهم حاملين أسـلحة نارية بروحين* والزبير معه ثلاثة ألاف نفر حاملين أسـلحة نارية بروحين ، الجملة خمسـة آلاف بازنقر ولهم معرفة بالنيشان** وضرب السلاح) [63] .

هذا وقد كان النور عنقرة جندياً سـابقاً في الجيش المصـري واظهر نبوغاً في صـفوفه وترقى حتى وصل لرتبة ضابط على رأس ألف رجل من الباشبوزق في أبي سمبل بمصر وكانت الحكومة المصرية قد استغنت عنهم وسرحتهم لعجزها عن دفع مرتباتهم ، فأقنعهم النور بالانضمام للزبير وجيشه في بحر الغزال بعد أن أغراهم بالمرتبات المجزية والمكافآت السـخية وعوائد التجارة فتحرك بعدد كبير منهم صـوب بحر الغزال وانضموا لجيش الزبير[64]

كما نجح رابح فضـل الله في تجنيد جماعة من الهجانة* المسـرحين من خدمة الجيش المصـري وقد تمكن من ذلك بفضـل مساعدة صـديقه رضـوان العبادي الذي تم تسريحه بعد أن كان مسؤولاً قوات الجمال والذي كان معروفاً بشـجاعته وقدراته القيادية الفائقة وعاد بهم رابح بعد أن طرق بهم طريق الصـحراء إلى

---

[62] ضرار ، صالح ضرار : مرجع سبق ذكره ، ص80 .
- سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 80 .
- برير محجوب : مرجع سبق ذكره ، ص43 .

* بروحين : أي بقاذفتين.

** النيشان : المقدرة على إصابة الهدف ودقة التصويب.

[63] مذكرات النور عنقرة : ص 1 دار الوثائق القومية ، الخرطوم .

[64] ضرار ، صالح ضرار : مرجع سبق ذكره ، ص80 .
- سعد الدين : مصدر سبق ذكره ، ص 80 .
- برير محجوب : مرجع سبق ذكره ، ص43 .

* الهجانة: مأخوذة من كلمة الهجن هم الجنود الذين يستخدمون الإبل في حراسة الثغور .

EDITORIAL

الحدود الليبية السودانية وسهول كردفان ومنها إلى بحر الغزال حيث استقبلهم الزبير وكبار قادته في احتفال عظيم واضحي بهم أكثر قوة ومنعه [65] .

ويتحدث الزبير عن بعض مصـــادر تزويد جيشـــه بالرجال بقوله (. . كنت إبان زيارتي الأولى للمنطقة الواقعة غرب بحر الغزال قد التقيت هنالك بكثير من العبيد الذين اثروا الفرار من أسـيادهم في بلاد الكلكة ودار التعايشـــة وغيرها من المناطق ، واقبلوا نحوي يطلبون الأمان من رجالي وكان بينهم الزاكي طمل الذي بلغ فيما بعد شأواً عظيماً في عهد الخليفة عبد الله إلى أن وشي به عند هذا الخليفة فاستدعى إلى أم درمان وألقى به في السجن إلى أن مات جوعاً بعد أن قاسى اشد أنواع العذاب ومنهم أبو عنجة الذي أبلى هو الآخر بلاءاً حسناً في حروبه ضد الحبشة إلى أن مات مسموماً . .) [66] .

(. . وأخذت بعد ذلك حوالي الســتمائة من هؤلاء العبيد وزودتهم بالســلاح والذخيرة جاعلاً قيادتهم لرابح فثبتوا في مختلف الظروف التي عرفت بعد ذلك أنهم محاربون أشـــداء ذوو جلد على المشـــقات والأخطار ، وبهم أحرزت الكثير من انتصـــاراتي ، أقارب هؤلاء وأصـــدقاؤهم بعد أن ذاع في الجهات كلها حسـن معاملتي لرجالي ورفقي بهم أن اقبلوا هم أيضـــاً للانضـــمام تحت لوائي ، وهكذا تجمع لي جيش كبير يبلغ تعداده حوالي أربعة ألف رجل تحت قيادة قوادهم وزعمائهم أنفسهم وكان الجميع بعد ذلك يخضعون في النهاية للقيادة العليا التي وضـعتها في يد رابح ، وكنت أحسـن معاملتهم بل واحرص على رفاهيتهم حرصـاً شديداً حتى زاد تعلقهم بي وإخلاصهم لي . .) [67] .

والجدير بالذكر أن أهل السودان لم يعرفوا قبل الزبير باشا النظم العسكرية ولا القوات النظامية وله يرجع الفضل في تعليم أبناء السودان استخدام الأسلحة النارية ، هذا وقد كان جيش الزبير مكوناً من فرقتين فرقة من قبائل الجعليين والدناقلة وغيرهم من قبائل الشمال وسماهم البحارة وفرقة أخرى من أبناء الجنوب وأطلق عليهم اسم البازنقر [68] .

ومما يؤكد التفاف الجنوبيين حول الزبير باشـــا دخولهم في خدمته طواعية واختياراً ذلك الولاء المطلق له والاســـتماتة الشـــديدة في الحرب بجانبه والدفاع عنه وعن مملكته ، ولو كان دخولهم للجيش عن طريق القوة لكان ضـــعيفاً ينهزم لأول وهلة ولا يصـــمد في تلك الحروب الشـــرسـة التي خاضـــوها في بحر

---

[65] برير محجوب : مرجع سبق ذكره ، 44.

[66] سعد الدين : المصدر السابق ، ص50 .

[67] سعد الدين : المصدر السابق ، ص50 .

[68] برير محجوب : مرجع سبق ذكره ، ص 22 .

EDITORIAL

الغزال وكردفان ودارفور والدليل كذلك انه حينما قرر سليمان الزبير* الاستسلام بعد حادثته في بحر الغزال إلى حملة جسي الإيطالي** ممثل الخديوي عام 1879 رفض أتباعه من جنود والده أمر التسليم وذهب ألف منهم بقيادة رابح فضل الله في تجريدته الشهرية إلى غرب ووسط أفريقيا [69] .

ث :- الزبير باشا وتجارة الرقيق :

1/ تجارة الرقيق بجنوب السودان :

يعتبر الرق من أبشع صور الإنسانية ورغم ذلك لم تكن عملية الإسترقاق من صنع الإنسان البدائي بل من صنع الإنسان المتحضر ، هذا وقد تعددت مصادر الرق علي مرّ العصور من الرق عبر البيع ، الدين ، مرتكبي شنائع الأعمال ، الخطف ، الشراء أو الأسر ، كما تباينت مواقف الديانات السماوية من الرق ما بين تحريمه الكلي أو الجزئي أو التدرج في القضاء عليه كظاهرة إجتماعية ، ولكن منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي تعالت الأصوات والتيارات للمطالبة بإلغاء هذا النظام الشنيع وظهرت التيارات المناهضة لتجارة الرق مما نتج عنها في آخر الأمر عقد الكثير من الإتفاقيات الدولية التي تحرمها .

لقد انتشرت تجارة الرقيق في منطقة جنوب السودان بصفة خاصة وكل القارة الأفريقية بصورة عامة ، وكانت منطقة بحر الغزال من المناطق التي اشتهرت بوجود تلك التجارة قبل قدوم الزبير باشا رحمة إليها[70]. ولقد اشترك الكثير من التجار في هذا النوع من التجارة نتيجة لارتفاع أسعار العاج وقلة نفقات التجارة في الرقيق وعائدها المادي السريع ، فلجأ التجار لاستئجار المناطق الجنوبية من الحكومة نظير مبالغ سنوية وكونوا بالاتحاد مع بعض شركات كبيرة أنشئت لها الجيوش المسلحة والسفن المزودة بالسلاح والعتاد ومن اشهر أولئك التجار الاجانب دي بوفو Di Bovo وامبيلي Ambli الإيطاليين ، ويلزك Yelzic وياكارو لافارو Yacaro Laravo الفرنسيين ، ومن البريطانيين جون بثريك John Bathric .

---

* سليمان بن الزبير : ابن الزبير باشا من زوجته الأولى الست عائشة ، وقد اصطحبه معه والده الى بحر الغزال ، عندما غادر إلى القاهرة تركه على رأس قوته ببحر الغزال وعمره 15 سنة وقد دخل في حرب مع غردون باشا انتهت بمقتله غدرا على يد جسي الإيطالي في 14/ يوليو /1879 م .

– ضرار ، صالح ضرار : مرجع سبق ذكره ، ص89 .

** جسي باشا : اسمه رومولو جسي : ألماني الجنسية ، كان صديقاً لغردون باشا لذلك استدعاه للعمل معه في السودان وعينه مديراً للاستوائية ثم مديراً لبحر الغزال وبعد عودته منها مرض في السويس بمصر ومات في 28/مارس /1881م .

[69] مكي ، الدكتور حسن : مرجع سبق ذكره ، ص12.

[70] مكي ، الدكتور حسن : مرجع سبق ذكره ، ص12 .

EDITORIAL

والمصريين السيد أحمد العقاد وموسى العقاد ومحجوب البوصيلي ، وعبد الحميد وأبو عموري ومحمد خير وأبو شنوده وغطاس وخورشيد أغا[71] .

هذا ولقد استعان هؤلاء التجار بالمغامرين من الدناقلة والجعليين في إنشاء الزرائب لهذا الغرض ، وقد أدت هذه التجارة لانتشار الخوف والرعب في المنطقة وبين سكانها ومن ثم أدى ذلك لهجرتهم وهروبهم للغابات والأحراش خوفاً من الرق والأسر والاستعباد مما أدى لخلخلة التركيبة السكانية بالمنطقة[72] . وكثيراً ما كان هؤلاء التجار يتحالفون مع الرؤساء والسلاطين المحليين للإغارة على المناطق المجاورة للحصول على الأسرى الذين يؤتى بهم من هذه الغارات حيث يصبحون عبيداً للتجار الذين ما لبثوا أن وجدوا فيهم تجارة رابحة .

وعندما قدم الزبير لمنطقة بحر الغزال وبعد انفصاله بتجارته عن أبي عموري فكر في إنشاء الجيش الذي سوف يوطد به أركان دولته ويحمي به تجارته فقام بشراء العبيد الذين يباعون في أسواق المنطقة ليؤكلوا من أصحاب الجنايات وأسرى الحروب ، فاشترى الزبير باشا الأقوياء منهم واعتقهم وأحسن معاملتهم ودربهم على فنون الجندية لذلك اخلصوا له وتفانوا في الدفاع عنه [73] .

2/ اتهام الزبير باشا بتجارة الرقيق :

ولقد اتهم كثير من الأوربيين الزبير باشا بتهمة الاتجار في الرقيق في حياته وبعد مماته ، وكان على رأس هؤلاء عدوه اللدود غردون باشا الذي كتب تقريراً يقع في أربع وعشرين صفحة بدار الوثائق القديمة بالخرطوم يتهم فيه الزبير وابنه سليمان بأنهما اكبر تجار الرقيق[74] ، وفي برقية من غردون إلى اللورد كرومر* في أواخر عام 1298 هـ الموافق 1879 م جاء فيها(. . لا شك أن الزبير باشا كان اكبر قناصي الرقيق على الإطلاق. . .)[75].

---

[71] رياض ، الدكتور زاهر : مرجع سبق ذكره ، ص 79 .

[72] بشير ، الدكتور محمد عمر : مرجع سبق ذكره ، ص 34.

[73] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ،ص4 .

[74] دفتر 1/15/74 ، ص 5 وما بعدها دار الوثائق القومية الخرطوم .

* اللورد كرومر : بريطاني الجنسية تولى منصب القنصل العام لبريطانيا في مصر عام 1882 وكان هو الحاكم الفعلي لمصر طوال إقامته بها ، وضع سياسة الإخلاء واشرف على سياسة مصر المالية وتكوين الجيش وهو الذي أوصى باحتلال السودان، ووضع اتفاقية الحكم الثنائي عام1899 . استقال من منصبه 1907 وتوفي في عام 1917 م .

– الخبير ، عبد الله محمد : مرجع سبق ذكره ، ص 228 .

[75] كرومر : مصدر سبق ذكره ، ص 85 .

EDITORIAL

كما أن الآن مورهيد كتب يشيد بالزبير ولكنه رغم ذلك أساء إليه حيث قال(.. أن أمثال الزبير كانوا أوغاداً ولكنهم كانوا يعرفون كيف يحكمون أقاليمهم خير مما يحكمها الأتراك والمصريين . .)[76].

وكرومر يؤكد أن الزبير باشا لم يبن سلطانه العظيم ولم يصنع ثروته إلا بالعمل في تجارة الرقيق[77] ، وعندما وافقت الحكومة العثمانية على إرسال الزبير باشا مع غردون احتجت الحكومة البريطانية بحجة أن الرأي العام لا يمكنه أن يقبل ذلك لأن الزبير (. . أعظم صائد للعبيد ظهر في الوجود . .)[78] وأما ونجت باشا F.R.Wingate فقد أكد أن الحرب التي شنها جسي باشا R.Gessi عام 1878 م في بحر الغزال . . كانت للقضاء على تجارة الرقيق التي كان الزبير باشا وابنه سليمان أعمدتها الحقيقيين[79].

ومما تقدم يتضح أن بعض الكتاب والساسة الأوربيين على وجه الخصوص عملوا على الإساءة للزبير بإصرار وذلك بوصمهم له بالعمل في تجارة الرقيق وأنه من أخطر تجارها وذلك لأن العمل في تلك التجارة أصبح في أواخر القرن الثالث عشر الهجري من الأعمال المشينة[80] .

3/ تفنيد مزاعم عمل الزبير باشا بتلك التجارة :

وسوف أحاول تفنيد تلك التهم ودفعها عن الزبير باشا ورد الاعتبار إليه لأنه لعب دوراً مهماً في تاريخ السودان الحديث ، ففي لقاءاته مع الآنسة فلوراشو التي تمت بجبل طارق جاء الآتي : (. . هذا وقد نفي الزبير نفياً قاطعاً ما كان ينسب له من تجارة الرقيق أو أي إسهام فيها ، وفند الزبير كل أقوال غردون التي صرح بها وأوضح أنها بنيت على سوء فهم أو لتقارير كاذبة ، وذكر بأن أي نظام لا يستقر في بلد يسمح بممارسة الاتجار في النخاسة ومعرباً عن إيمانه بأن الانطلاق الحر والتنقل بحرية أمر ضروري بالنسبة لصحة وحياة أي امة وأن ذلك يتعارض مع تجارة الرقيق. . إنني لا استطيع أن اعبر لكِ كيف سيكون من المستحيل تصور أن أقوم ببيع أفراد إلا إذا ادركتِ بأن ملك أي قوم هو أب لهم جميعاً . . وإذا بعت أي فرد فسيتشبث بي الناس في الشوارع أن أعيد إليهم ما أخذتهم من أقربائهم ، ونفي أن يكون قد باع أي فرد في مملكته ولكنه اعترف بشراء العبيد الأقوياء في مندقبا لاستخدامهم كجند في خدمته . . .)[81] .

---

[76] مورهيد ، الآن : مرجع سبق ذكره ، ص 196 .

[77] كرومر : المصدر السابق ، ص 84 .

[78] مورهيد ، الآن : المرجع السابق ، ص 237 .

[79] Wingate, F,R: Mahdisimand Egyptian, London, p10

[80] أبو سوار ، جعفر أحمد صديق : مرجع سبق ذكره ، ص 184 .

[81] . فلوراشو: مصدر سبق ذكره ، ص 53

EDITORIAL

هذا وقد أوضـــح الزبير باشـــا كذلك أن هذه التجارة لن تتوقف طالما أن أســـواق الرقيق مفتوحة في القاهرة والأستانة وطالما أن مناطقه في الاستوائية والنيل الأبيض بلا حكومة مركزية ، وأوضـح أن أفضل طريقة لإيقاف هذه التجارة هي إغلاق أسواقها بمصر وتركيا وبفتح منابعه ومن ثم تمدينها وفتحها للحضارة وان فتوحاته التي تمت في بحر الغزال كانت لذلك الغرض[82].

ومنذ انتظام ملك الزبير باشـا في بحر الغزال بدأت تجارة الرقيق تضـمحل في كل أنحاء دولته وفي خلال أربع سنوات انتهت هذه التجارة نهائياً وتوقفت ، ولكن بانتشار سمعة الزبير وقوة مركزه أصبح اسمه يعني الحماية التامة لكل القوافل لأن اتفاقياته مع الزعماء المحليين تنص على الحماية الكاملة وضمان سلامة مرور القوافل ولذلك أصـبح اسـمه بمثابة الكلمة السـحرية ووسـيلة ناجحة لضـمان السـلامة في تلك البلاد المتخلفة لخوف الناس من سطوة الزبير ، فكانت القوافل التي لا يملكها الزبير تحمل اسمه لضمان مرورها فانتفع غيره من التجار بمعاهداته تلك واستغلوا اسمه في تمرير قوافل الرقيق . وعندما وقعت قافلة رقيق في قبضـــة غردون باشـــا ادعى رئيســـها أنها تتبع للزبير باشـــا حتى يمررها ولكن ظهر فيما بعد أنها ملكاً لأحد ضـباط غردون نفسـه ، ولذلك كان الكثير من التجار يحملون اسـمه واسـتغلوا سـمعته لدى الناس في تمرير قوافلهم بما فيها قوافل الرقيق[83] ،

وأنكر الزبير ما ذكره شـفانيفورث من أن الزبير قد صـدر بين عامي 1870- 1871 م حوالي ألف وثمانمـائـة عبد أو أن لـه ثلاثون محطـة للرقيق في بحر الغزال ، حيث أورد أن جزء من تلك القوافل كانت تتبع لمحمد البلالي[84] .

(.. وهناك عدة أســانيد تدل على أن الزبير لم يبيع الرقيق بل كان يشــتريهم من ضــحايا الســلاطين ويدربهم على حمل السلاح ومن هذه الأدلة :

اولاً: من أين تسـنى للزبير إنشـاء ذلك الجيش الضـخم الذي واجه به الرزيقات وهزم به الفور إذا كان يبيع الرقيق.

---

[82]. فلوراشو: المصدر السابق ، ص 53 –57.

[83] مذكرات الزبير باشا : مصدر سبق ذكره ، ص5 .

– فلوراشو : المصدر السابق ، ص50 .

[84] فلوراشو : المصدر السابق ، ص50 .

EDITORIAL

ثانياً : إخلاص واستماتة جنوده في الدفاع عنه وكان أغلبهم من السود وجيش وبهذه الاستماتة والفدائية والتفاني والعلاقة بينه وبين قائده إخلاص ووفاء لا يمكن أن تكون كالعلاقة بين التاجر وبضاعته بل تدل على علاقة محبة وإخلاص لأنه افتداهم من الموت)[85] .

وسياسة الانجليز والأوربيين متناقضة في مثل هذه المواطن ، فهم عندما أطلقوا الشائعات التي صورت الزبير بأنه مصدر النخاسة في أفريقيا أرادوا أن يحولوا الأنظار عن بني جنسهم الذين ارتكبوا أبشع الجرائم في ميادين تجارة الرقيق ليصبح الزبير المشجب الذي يعلق عليه هؤلاء جرائمهم وأخطاءهم[86].

وبعد صدور قرار جمعية مناهضة الرق The Anti slavery Society في لندن ومعارضتها لإرسال الزبير باشا لمساعدة غردون في تنفيذ سياسة الإخلاء بحجة عمله بتجارة الرقيق وتشددها في ذلك الأمر ومحاولتها لإثارة الرأي العام الانجليزي ليقف ضد ذلك القرار أرسل اللورد كرومر برقية للإدارة البريطانية يرى فيها ضرورة إرسال الزبير وتعيينه وذلك في 19 فبراير 1884 جاء فيها(. . أما بخصوص تجارة الرقيق فقد تباحثت في هذا الأمر مع الجنرال غردون أثناء إقامته في القاهرة وكان الاتفاق بيننا على أن ذهاب الزبير إلى السودان أو تخلفه لن يؤثر مطلقاً وعلى صورة من الصور في أمر تجارة الرقيق. .) وهذا التصريح من كرومر نفسه وبشهادة غردون الذي اتهم الزبير بهذه التجارة ينفي عن الزبير تلك التهمة ويؤكد أنها تهمه سياسية كان الغرض منها إبعاد الزبير عن السودان بأي وسيلة[87].

(. . أن الذين اتهموا الزبير بأنه كان تاجراً للرقيق لم يستطيعوا مع ذلك أن يسوقوا دليلاً واحداً بتهمة القسوة فهو بحق لم يكن مغامراً أو قاطع طريق بل كان محارباً شهماً يحفظ للقتال حرماته إلى جوار ما اشتهر به من كرم وعدل في معاملته لأسراه وعبيده ، حتى لقد فرّ إليه الآلاف من عبيد الأخريين للانضمام إليه والمحاربة تحت لوائه. . . ولكن علينا إذا ما شئنا أن نحكم عليه أن تتذكر دائماً طبيعة ظروفه والبيئة التي عاش فيها وان تتحاشى أن نحكم عليه قياساً بما نحن عليه في مجتمعنا الانجليزي الحاضر حتى لا تقع في خطا لا مبرر له . .)[88]

4/ الدوافع الحقيقية لاتهام الزبير باشا بالرق :

---

[85] زلفو ، الرائد عصمت حسن : مرجع سبق ذكره ، ص31 .

[86] أبو سوار ، جعفر أحمد : مرجع سبق ذكره ، ص193

[87] كرومر : مصدر سبق ذكره ، ص 85 ، 86 .

[88] Jackson, H.C: Opcet, p112

EDITORIAL

هذا وقد حاولت جمعية مناهضة الرق أن تنتشر الرعب وسط الجمعيات التبشيرية والكنيسة من إنتشار الإسلام بمجاهل أفريقيا وأن واحد من أسباب معارضتها للزبير باشا هي أن (. . امتداد نظام وتأثير قوانين الديانة المحمدية هي الأولى في تلك المناطق. .)[89] ، وفي عام 1844 حذر الرحالة البوهيمي بالمي الجمعيات التبشيرية الأوربية من أن هنالك عدد قليل من المديريات داخل أفريقيا لم تطأها قدم الديانة المحمدية وعلى الجمعيات أن تعمل شيئا وإلا فستفقد المسيحية كل النوبة والكوديرا والشلك والرونجا والكولا* وغير ذلك من المناطق العديدة)[90] .

وجاء في صحيفة مناهضة الرق (. . ان تجار الرقيق كانوا عامة من المبشرين لانتشار الديانة المحمدية قد نجحوا نجاحاً رائعاً في مهمتهم وأصبحت القبيلة تلو القبيلة معرضة لديانة محمد الكاذبة . .)[91].

ونتيجة لهذه الأسباب التي ذكرت والشواهد التي وردت نجد أن اتهام الزبير باشا بهذه الفرية تهمة ليست حقيقية وذلك لأن كل الذين اتهموه بها لم يسوقوا دليلاً واحداً على ذلك يثبت تلك التهمة عليه ولذا فان أبعاد الزبير باشا عن السودان لم يكن بذلك الدافع الذي ساقوه وإنما كان لدوافع أخرى منها :

اولاً : دافع ديني تبشيري كنسي من قبل جمعية مناهضة الرق البريطانية التي تعرضت لضغوط رجال الكنيسة والتي مارست بدورها ضغطاً على الإدارة البريطانية للإبقاء على الزبير باشا بالقاهرة وعدم السماح له بالعودة إلى السودان وذلك لأن الزبير وأبناء الشمال الذين انخرطوا في خدمته كانوا يمثلون الوجود العربي المسلم في جنوب السودان ووسط أفريقيا وهي منطقة تريد انجلترا خلوها من المؤثرات العربية والإسلامية آنذاك .

ثانياً: دافع سياسي من قبل الحكومة المصرية لخوفها من نفوذ الزبير باشا المترامي في منطقة بحر الغزال ودارفور وإمكانية انفصاله بتلك المناطق نتيجة لقوته وكثرة جيوشه ولأن تلك المنطقة بعيدة عن نفوذ الحكومة المصرية وسلطاتها وربما كون له دولة تصبح مصدر خطر عليهم في المستقبل .

ثالثاً: أرادت بريطانيا بإطلاقها لتلك الشائعات ضد الزبير باشا حتى يبقى محدداً لإقامة في مصر حتى يظل السودان خالياً من العناصر القوية المؤثرة وحتى لا يتحد مع الثوار المهديين والثوار العرابيين في مصر فيهدد الوجود الانجليزي في مصر والسودان .

---

[89] السني ، مصطفى : البريطانيون وتجارة الرق في السودان ، ماجستير ، غير منشورة ، الخرطوم 1984 ، ص89 .

* أسماء قبائل ومناطق في جنوب السودان ووسط افريقيا .

[90] Ballmey , Egantous: journey in kordotem, London ,1884 ,p190

[91] السني ، مصطفى : المرجع السابق ، ص 91 .

EDITORIAL

رابعاً : الكسب السياسي حيث أراد بعض السياسة الانجليز اتهام الزبير بذلك لتبدو أحزابهم نقية أمام المواطنين ، حيث تكونت جمعيات تحرير الرقيق التي دفعت المجتمع ليقف أمام كل ما يسئ إلى حرية الإنسان.

الخاتمة

يتضح لنا من هذا البحث أن الزبير باشا رحمة كان له دور بارز ومؤثر في التاريخ السياسي السوداني من خلال الفترة التي عاصرها ولعب دوراً بارزاً فيها ، فالزبير من خلال تعليمه الديني الذي تلقاه ونشأته وتجارته التي أدارها صاغ لنفسه مجداً في واحدة من المناطق المجهولة آنذاك ، وتظهر في ثنايا هذه الدراسة الشخصية الإدارية الفذة والحنكة العسكرية المتميزة للزبير وتبين المواقف التي تعرض لها ببحر الغزال عن شخصية قيادية متفردة استطاعت أن تقيم لها دولة وسط القبائل الجنوبية المتحاربة ووسط مستعمرات التجار الشماليين والأجانب ليصبح بمرور الزمن سيدهم المطاع وهذا ما نقله من التجارة لتأسيس ملك تليد .

كما وضح في البحث أن تجارة الرقيق لم تكن وليدة عصر الزبير باشا وحقبته وإنما هي تجارة كانت سائدة منذ القدم وفي صور شتي وأبانت موقف كل الديانات السماوية منها مع تعداد لمختلف صور الرق التي كانت سائدة والمحاولات التي بذلت علي مر العصور لإيقاف هذه التجارة البغيضة ، ثم بيان للجهود التي بذلها الزبير باشا لتدعيم مركزه في تلك المنطقة من خلال معاهداته المختلفة مع زعماء البائل ومصاهراته هو وقادة جيشه لأولئك الزعماء وهي تلك المصاهرات التي مكنته من تحقيق غاياته كما مثلت النواة الأولى لصور التمازج بين سكان شمال وجنوب السودان .

ويتضح دوره كذلك في الجيش الذي كونه والذي جمع له الوطنيين وأستقدم لهم القادة الميدانيين من الشماليين حيث جمع فيه مابين حنكة وحسن قيادة الشماليين وبسالة أبناء الجنوبيين الذين افتداهم من الأسر والموت ،فأصبحوا متفانين في خدمته ومستميتين في الدفاع عن دولته وهو ذلك الجيش الذي وطد به دعائم حكمه ونشر به ألوية الأمن والاستقرار بالمنطقة ، كما أشرت لموضوع تجارة الرقيق والتي أثير أمر ارتباط الزبير بها فأبرزت الدلائل التي تؤكد حتى الدراسات الأوروبية علي دوره فيها لم يتعد شراء الرقيق الأصحاء الأقوياء وعتقهم من الرق لاستخدامهم كجنود في جيشه وهذا يعتبر محمدة له لأنه أعتقهم من الرق والأسر والقتل وليس العكس حيث لم تثبت البراهين والأدلة أنه باع عبداً واحداً لأي جهة وأوردت الكثير من البراهين التي تدحض ذلك والتي كما أعتقد قد أثيرت لأسباب منها إبعاد الزبير عن منطقة بحر الغزال لخوف الإدارة التركية المصرية من استقلاله بتلك المنطقة البعيدة لقوته واقتداره ولسبب ديني بإيعاز من

EDITORIAL

جمعية محاربة الرق البريطانية الواقعة تحت ضـغط الدوائر الكنسـية البريطانية التي بدأت تشـعر بخطورة دور الزبير باشـا في منطقة بحر الغزال خاصـة وجنوب السـودان عامة والتي كانت تعتبرها بيئة مناسـبة لعملية التبشـير الكنسـي وكان لوجوده بها بذلك الجيش الكبير بداية لأسـلمه المنطقة وإدخال اللغة الثقافة فيها وهذا ما دفع بتلك الجمعية تبذل جهدها لإبقاء الزبير بالقاهرة وعدم السماح له بالعودة للسودان .

أ/ النتائج :

1/ تمكن الزبير باشا من تحقيق نجاح منقطع النظير في منطقة بحر الغزال .

2/ استطاع الزبير باشا بحنكته ومؤهلاته العسكرية من إقامة مملكة آمنة مستقرة بتلك الجهات

3/ تمثل فترة حكم الزبير باشا للمنطقة بداية دخول الدين الإسلامي واللغة العربية وثقافتهما إلي المنطقة .

4/ أثره الواضح والمتميز والرائد في النظام العسكري السوداني .

5/ أن هنالك جهود قد بذلت من جانبه لإزالة الفوارق العرقية الاجتماعية بين سكان شمال وجنوب السودان من خلال تشجيعه للتزاوج والانصهار بين الشماليين من جنوده وقادته والجنوبيين .

6/ الدور الواضح الذي يمكن أن تلعبه التجارة المستقرة في نقل مقومات الحضارة للمناطق المختلفة .

7/ المغالاة والاستهداف الواضح في وصم الزبير باشا بتجارة الرقيق ولإلصاق هذه التهمة التي لا أساس من الصحة كما بينت وأوضحت الدراسات المحايدة.

8/ التخطيط المسبق والواضح من قبل الدوائر الاستعمارية في جعل جنوب السودان منطقة مقفولة لإبعاده عن الشمال ومؤثراته تمهيداً لفصله في أخر الأمر .

ب/ التوصيات :

1/ توصي الدراسة بإيراد المزيد من الدراسات حول بدايات دخول الإسلام واللغة العربية إلى جنوب السودان .

2/ دراسة الأثر الديني للزبير باشا في منطقة بحر الغزال من خلال تأثيره علي المنطقة في ناحية الدين واللغة والعادات والتقاليد والأسماء الأزياء وغيرها من الملامح الحضارية .

3/ أفراد دراسة عن الجوانب الروحية والسلوك الصوفي لدي لزبير وعلاقته برجال الطرق الصوفية لتطرق أحفاده لهذا الأمر كثيراً مع عدم وروده في الدراسات السابقة .

4/ جمع كل التراث الذي تركه الزبير باشا من طبول وبنادق وأوسمة ونياشين ومكاتبات ورسائل وصور في مكان واحد لتكون متحفاً يقف شاهداً علي عظمته ودوره لأن كل هذه الأشياء توزعت ما بين أحفاده في الداخل والخارج وقدم بعضها كهدايا مما أدى لتبعثرها وضياعها .

EDITORIAL

المصادر و المراجع

1/ المصادر :

1) أبن خلدون : مقدمة بن خلدون ، بيروت ، 1961 .
2) الزبير ، سعد الدين: الزبير باشا رجل السودان ، بدون تاريخ ودار النشر .
3) رياض ، الدكتور زاهر : السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال، الأنجلومصرية ، القاهرة ، 1966م .
4) شقير ، نعوم : تاريخ السودان الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، 1967م .
5) فلوراشو : الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق ، ترجمة عباس خليفة الطاهر ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، 1995م .
6) فوزي ، إبراهيم . : السودان بين يدي غردون وكتشنر ، القاهرة ، بدون دار النشر ، 1319هـ ، الجزء الثاني .
7) كرومر : بريطانيا في السودان ، ترجمة عبد العزيز أحمد عرابي ، الطبعة الأولي ، مطبعة كوستاماس ، 1960م .
8) مورهيد ، الآن : النيل الأبيض ، ترجمة محمد عابدين ، دار المعارف ، القاهرة، 1956م .

2 / المراجع :

1) الأيوبي ، الياس (1995م). تاريخ مصر في عهد إسماعيل ، مكتبة مدبولي ، القاهرة.
2) الخبير ، عبد الله حسن(1982م) .السور المنيع البأس في اتصال نسب أجعل بأصله العباس ، جامعة الخرطوم.
3) الطاهر ، خليفة عباس (1995م). موجز لأهم ملامح ومعالم سيرة الزبير باشا، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة.
4) برير ، محجوب برير محمد نور (1988م). قبس من الفكر والتاريخ ، دار الإعلام ، الطبعة الأولى ، بدون البلد.
5) جاكسون ، هنري : غردون باشا ، ترجمة عزيز يوسف عبد المسيح ، جمعية نشر المعارف المسيحية ، بدون البلد وتاريخ النشر .

EDITORIAL

6) الجمل ، الدكتور شوقي : (1969م). تاريخ سودان وادي النيل ، الجزء الثاني، القاهرة.

:(2002م). تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، دار الزهراء ، الرياض.

7) زلفو ، الرائد عصمت حسن (1976م). شيكان ، أبو ظبي ، بدون دار النشر.

8) زيادة ، الدكتور نقولا وآخرون (بدون تاريخ). أطلس العالم ، بيروت ، دار الجيل.

9) ضرار ، الدكتور ضرار صالح (1989م). تاريخ السودان الحديث ، الطبعة العاشرة ، بدون دار النشر.

10) القدال ، الدكتور محمد سعيد (1993م). تاريخ السودان الحديث ، دار جامعة الخرطوم للنشر.

11) مالك ، عباس محمد (1987م). العرب والعباسيون في السودان ، دار طنبي، الخرطوم.

12) محمود ، الدكتور حسن أحمد (1986م). الإسلام والثقافة العربية الأفريقية، دار الفكر العربي ، القاهرة .

13) مكي ، الدكتور حسن (بدون تاريخ النشر). السياسة التعليمية والثقافية في جنوب السودان ، المركز الإسلامي الأفريقي ، الخرطوم.

14) يحي ، الدكتور جلال (1959م). الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان ، مكتبة النهضة ، القاهرة .

3 / الرسائل الجامعية :

1) أبو سوار ، د. جعفر أحمد صديق (1419هـ). الزبير باشا وعلاقته بالقوي الإقليمية المجاورة ، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت لجامعة أم القرى ، السعودية.

2) السني ، مصطفي (1984م). البريطانيون وتجارة الرقيق في السودان ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة الخرطوم.

4 / المصادر الأجنبية :

1) Burkhurt, J.I (1882). *Travel in Nubian* , London .
2) Jackson , H.G (1913). *Black Ivory* , Khartoum .
3) Schwinfurt , GEORGE (1874). *In the Heart of Africa* , London.

EDITORIAL